مراجعات

محمود درويش ، **شيء عن الوطن** (بيروت ، العودة ، ١٩٧١)

يضم هذا الكتاب مقالات لمحمود درويش ، نشرها منذ حزيران ٦٧ الى فترة قريبة ، في « الاتحاد » و« الجديد » الصادرتين في حيفا ، بالاضافة الى مقابلات معه سبق نشرها في مجلات عربية . وقد صدر الكتاب في الاسبوع الذي وصل فيه الشاعر الى القاهرة من موسكو . وبالطبع فان الناشر لا المؤلف ، هو الذي أعد الكتاب للنشر وأشرف عليه. الملاحظة الهامة على الكتاب ، ان موضوعاته صحفية وسريعة ، تتسم بالقصر وتكرار الفكرة وحماس التعليق . وفي ذلك يتوخى حرارة اللغة والوضوح وضرب الامثال وسهولة التعبير . وهذا هو مفهوم للصحافة التي تنشد ان تكون قريبة الى « الافهام » . هكذا لا يكون الكتاب « ترجمة » نثرية لشعر درويش ، او نموذجا للنثر الفني لدى الشاعر ، كما في مقدمته لديوان « ابو سلمى » الصادر اخيرا ، سيما وان المؤلف يستخدم من الوقائع السياسية مادة له ، مادة للمناقشة . وثمة ملاحظة على التبويب . ان الموضوعات في معظمها غير مؤرخة ، وغفل من المصدر الذي نقلت عنه الى الكتاب ، رغم ان الناشر احاط القارىء علما بأن مواد الكتاب كتبت في الارض المحتلة . وفي هذا ما ينزع عن الكتاب سمة الوثائقية .

أين تكمن قيمة الكتاب ؟ ان الحديث عن شعر درويش ومصادره واسباب نموه ، رددته النقاد بعد ان شاعت تصريحات الشاعر منذ المقابلة معه في مجلة « الطريق » قبل ثلاثة اعوام ، ومنذ أعيد نشر مقاله الشهير « انقذونا من هذا الحب القاسي » . كما ان المقالين النادرين في الكتاب « دفاع عن الشجر » و« شيء عن الوطن » لا يضيفان على صعيد فني قيمة جديدة لشعره . ولكنهما يشهدان على المقدمات الفكرية لاشعاره الوطنية : ان الوطن هو الالتصاق بالمكان ، وان المقاومة هي التشبث « الغريزي » بالبقاء فيه . ونحن حاضرون في الوطن لان هناك البطش والعسف من الاعداء . وان اعترافنا بهم لا يترك لهم حيلة من الاعتراف بنا . ان كلا منا موجود نسبة الى الآخر (موجود ليس بالمعنى العرضي ، ولكن بالمعنى السياسي وبالتالي التاريخي) ..

وفي المقالات الاخرى يظهر الاختيار السياسي بصورة اكثر وضوحا وتحديدا . وخاصة المقالات المتعلقة « بنضال الكاتب العربي في اسرائيل » ومطالبة الشاعر العربي من الكتاب اليهود (الاسرائيليين) « بمجرد التعارف واللقاء واجراء حوار نستمع فيه الى بعضنا البعض » ص ٥٠ . قيمة الكتاب تكمن هنا . في القائه الضوء على طبيعة الصراع الذي كان يدور بين الشاعر درويش من جهة ، وبين القوى اليهودية الصهيونية في الارض المحتلة ، مقومات هذا الصراع وآفاقه : في ١٣ نيسان من العام الماضي ، عقد في « بيت سوكولوف » لقاء بين كتاب اسرائيليين وعرب ، تحت شعار « الدفاع عن الديمقراطية » ، حضره من الجانب الاسرائيلي دان بن اموتس ، اسحق اورباز، دان ميرون ، مردخاي ابي شاؤول ، وغيرهم . ومن الجانب العربي (شيوعيون واصدقاء لهم) : سميح القاسم ، توفيق زياد ، سالم جبران ، عصام عباسي ، محمد وتد ، يوسف مندي . وكانت فكرة اللقاءات قد بدأت قبل حوالي ١٦ سنة ، لدى اسرائيلي « ديمقراطي » ، وذلك بغية انشاء اتحاد مشترك. لكن تنفيذ هذه الفكرة سرعان ما انهار لدى اول صدام جزئي مع السلطة . وبالطبع فان الاسرائيلي « الديمقراطي » الواعي تراجع عن اخلاقه السابقة . وفي لقاء « بيت سوكولوف » حدث ان سأل عريف الحفل محمد وتد وهو يقدمه للجمهور : هل جئت الى هنا بتصريح . فأجاب : لا . فبادره